

رمزية العادات والتقاليد

The symbolism of costumes and traditions

علي شيخ*، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، shikh3ali@gmail.com

هاجر زيادة، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، الجزائر، hager24@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/09/24 تاريخ القبول: 2020/10/24 تاريخ النشر: 2020/12/08

ملخص:

لقد أفرزت التراكمات المعرفية التي أدرجها العلماء والباحثين ضمن إسهاماتهم البحثية المختلفة، عن ميلاد فرعي علمي عرف (بالأنثروبولوجيا أو علم الإنسان)، كحقل معرفي تقوم أولى اهتماماته على دراسة الجوانب المختلفة للإنسان (بيولوجيا، اجتماعيا وثقافيا)، حيث ساهمت الأنثروبولوجيا عبر أطرها البحثية (النظرية والحقلية)، في دراسة الواقع المعاش للأفراد متناولة بذلك جل المجالات التي ترتبط بحياتهم الاجتماعية، لأجل بناء نموذج توصيفي لنمطية الحياة التي يعيشونها ضمن نمط ثقافي أحادي أو ازدواجي وتشخيص صور تفاعلهم ضمن السياق (الزمكاني). تشكل العادات والتقاليد صور السلوك والممارسات التي يزاولها الأفراد لغايات مختلفة تتمثل في (تنظيم شؤونهم، تحقيق تكامل مع الثقافة السائدة عبر عملية التمثيل وتبني لخصائصها وسماتها وتلبية لمطالباتهم الاجتماعية المختلفة) وباعتبار أن الثقافة هي الإطار المرجعي المعرفي للسلوك لدى مجتمع من المجتمعات ويدخل في هذا السلوك كل السلوكيات التي تتطلبها الحياة الاجتماعية اليومية. سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على إسهام علم الإنسان في دراسة طبيعة العادات والتقاليد ومركزاتها المادية والمعنوية التي تشيد نمط معيشة الإنسان.

الكلمات المفتاحية: الأنثروبولوجيا، الأنثروبولوجيا الشعبية، العادات والتقاليد، الحياة اليومية، الثقافة التقليدية.

* المؤلف المرسل

Abstract:

The accumulations of knowledge that scientists and researchers have included among their different research contributions have resulted from a scientific sub-birth (known as anthropology or human science), as a field of knowledge whose primary interests are to study the different aspects of man (biologically, socially and culturally), Where anthropology, through its research frameworks (theoretical and field), contributed to the study of the lived reality of individuals, dealing with most of the ways that are related to their social life, In order to build a descriptive model of the lifestyle that they live within a mono or dual cultural pattern and to diagnose their interactions within the context (temporal space). Customs and traditions form the forms of behaviour and practices practiced by individuals for various purposes, namely: (organizing their affairs, achieving integration with the prevailing culture through the process of representation and adopting its characteristics and traits and meeting their different social requirements). Considering that culture is the cognitive frame of reference for behaviour in a society, and this behaviour includes all the manners required by daily social life. Through this research paper, we will try to shed light on the contribution of anthropology to the study of the nature of customs and traditions and their material and moral foundations that build the human lifestyle.

Key words: Anthropology, folk anthropology, customs and traditions, daily life, traditional culture.

مقدمة:

يشكل المجتمع الوسط الذي ينتمي إليه الإنسان وتتنظم في سياقه جل أفعاله وسلوكياته التي تتجلى عبر الممارسات والنشاطات الاجتماعية المختلفة التي تتعاقب عبر الروتين اليومي المتكرر والموسمي، حيث أن هذه الممارسات تعبر عن مفهوم المشاركة الفردية والجماعية للعناصر الثقافية باعتبارها مصادر تحقق تكيف واندماج مع ظروف البيئة الجغرافية والاجتماعية التي يعيش ويتموضع في نطاقها الأفراد والجماعات باختلاف طبقاتهم وانتمائهم القبلي والعائدي. فلكل مجتمع مظاهر

ثقافية تميزه وتؤسس لمفهوم هويته المحلية التي يتم تشييدها وفق عناصر ثقافته بما تتضمنه من عادات وتقاليد، قيم وأعراف المنقولة إلى أفرادها عبر عملية التنشئة الاجتماعية التي تخلق لديهم الاعتراف بها، لقد ساهمت الأنثروبولوجيا كغيرها من العلوم في دراسة علاقة الإنسان بمجتمعه متبينة في ذلك كل المجالات التي يعد حضور الإنسان فيها أساسيا باعتبار أن تلك العلاقة إنما هي نتاج عملية تفاعل تتأرجح بين الثبات والتحول في مقوماتها وركائزها. فكيف ساهمت العادات والتقاليد كنوع من النشاطات والممارسات في التعبير عن نمط عيش الأفراد والجماعات؟ وما هي أهم مظهرات في الوسط الاجتماعي؟

1- العادات والتقاليد والمعيش اليومي للأفراد:

تشكل الثقافة البيئة أو الوعاء الذي يحتضن تمفصلات حياة الأفراد في سياقها الاجتماعي والثقافي وكيف يساهم هؤلاء في تطوير أساليب لتحقيق تكامل وتكيف علائقي مع البيئة التي تتضمن طبيعة ممارساتهم ونشاطاتهم اليومية والروتينية المتزامنة، فالثقافة تعبر عن طريقة العيش في المجتمع، تشكل التراث الاجتماعي المتناقل عبر متغير (الزمان والمكان)، الثقافة هي النظم والعناصر المشتركة في تأطير شؤون الأفراد، كما تشكل الثقافة الإطار المرجعي الذي يتأسس عليه مفهوم الاختلاف عن الآخر وخصوصية الانتماء إلى المحلي والمتماثل مع الوسط الاجتماعي. فالثقافة حسب تعبير باحث الأنثروبولوجي تايلور Taylor ترتبط بالمجتمع باعتبارها أحد المقدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع، "والاكتساب من المجتمع عملية مستمرة لا نهاية لها ولا توقف، وتحصل بوعي أو دون وعي، برغبة أو دون رغبة، ومن الصغر إلى الكبر. لهذا أصبحت الثقافة تدرس وتعرف في نطاق علاقتها بالمجتمع، وفي الدراسات الأنثروبولوجية أصبحت تربط بمفهوم التراث الاجتماعي، والذي يعني أن علاقة الثقافة بالمجتمع هي علاقة تفاعل قديمة، وتمتد إلى أجيال متعاقبة. ويرى أبو زيد أن من خصائص الثقافة في الدراسات الأنثروبولوجية هي خاصية الاستمرار. فالسمات الثقافية لها قدرة هائلة على الانتقال عبر الزمن"¹.

وفي هذا الصدد يرى الباحث الأنثروبولوجي ب. مالمينوفسكي "B. Malinowski" أن إقامة الباحث الأنثروبولوجي بمجتمع الدراسة، وتعلم لغة سكان المجتمع أمران ضروريان لأنهما يساعدان على ما أسماه (الملاحظة بالمشاركة)، وهي طريقة جمع المادة عن طريق الاشتراك في الأنشطة اليومية

1 خالد خواني. وسائل الاتصال والتعبير عند الشعوب البدائية: دراسة أنثروبولوجية"، ضمن كتاب: في أنثروبولوجيا الاتصال، السياقات والمفاهيم، اشراف: العربي بوعمامة، منشورات ألفا، الجزائر، 2020، ص 177.

لسكان المجتمع موضوع الدراسة، بمعنى أن الباحث لا يقف موقف المشاهد عن بعد، وإنما يلجأ إلى المشاركة الفعلية فيما يقوم به الأفراد في المناسبات المتعددة والمجالات المختلفة التي تشكل أساساً جوهرياً في فهم الثقافة، فالباحث في رأي مالينوفسكي، لا يمكنه الوصول إلى حقيقة المعاني الرمزية أو الضمنية لسلوك معين في مناسبة خاصة، دون أن يكون له فرصة الجمع بين الملاحظة والمشاركة في الوقت نفسه².

1-1- العادات والتقاليد كخصوصية ثقافية:

تشكل العادات والتقاليد نوع من الممارسات والنشاطات ذات الطابع الاجتماعي والثقافي التي تنتظم في السياق اليومي الذي يشرح كيف تمارس الجماعة عاداتها وتقاليدها، وكيف ينظر هؤلاء لهذه الممارسات وهنا نشير إلى مسألة (الخصوصية والانتماء)، بحيث أن العادات والتقاليد تعبر عن الخصوصية الثقافية التي تميز جماعة دون غيرها ومجتمع دون الآخر، وتكشف عن خصائص الاختلاف عن الآخر وتوضح عبر ممارستها طبيعة الظروف التي عاشها الفرد في ظل نمط ثقافي معين، فالعادات والتقاليد ترسم واقع الأفراد داخل وسطهم الاجتماعي، فالفرد يزاوِل عاداته وتقاليده تبعاً لما هو متداول، فالشعب الجزائري كغيره من الشعوب، يمارس عاداته وتقاليده بصورة عادية وطبيعية، فهي جزء لا يتجزأ من شخصيته وهويته وثقافته وحضارته، فلقد ظل يمارس عاداته وتقاليده دون هواده ولا انقطاع ينظمها وينظم أطرها الثقافية والاجتماعية والعقائدية، فيحتفل بأعياده، يمارس طقوسه وفق رؤية ومنطق خاصين به وبشخصيته³.

حيث "تدل الكثير من المعطيات التاريخية والأنثروبولوجية على سعي الإنسان منذ القدم لتطوير تقنيات وممارسات ذات طابع ترفيهي بهدف الوصول إلى حلول للضغوطات النفسية التي تواجهه، ولكن بعض هذه الممارسات التي عبرت التاريخ والتي تبدلنا اليوم ترفهية لم تكن كذلك يوم نشأتها، إذ طقوس بعض هذه الممارسات ترتبط بهاجس الإنسان في الاحتماء من المجهول ومن الفشل، وذلك بإيجاد تقنيات لتقنين العالم، وللتحكم في مصيره"⁴.

² جمال معتوق. الأنثروبولوجيا: الفروع والمداخل النظرية، دار كتاب الحديث، الجزائر، 2016، ص 340.

³ محمد سعيدي، الأنثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق: دراسة في مظاهر الثقافة الشعبية في الجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2007، ص 108.

⁴ فاطمة ديلي. "البوقالة: الطقوس والشعر والمرأة"، منشورات CNRPAH، 2009، عدد 07، ص 09.

1-2- العادات والتقاليد والإرث الثقافي:

تعتبر العادات والتقاليد عن الإرث الثقافي المتناقل من جيل إلى آخر عبر العمليات الاجتماعية التي تسمح بتسيخ هذه العناصر وفي وعي وفكر الأفراد، حيث أن هؤلاء يمثلون لثقافتهم التي تكفل لهم تنظيم وإشباع حاجاتهم المختلفة، يتجلى ذلك التعبير عن الإرث الثقافي عبر صيغ مختلفة أبرزها الاحتفالات الدينية والاجتماعية التي تعكس صور التراث المنقول إلينا، وهنا نشير إلى دور وإسهام الأسرة في ترسيخ هذه العناصر التي تمكنها من تحقيق تكيف مع الظروف الاجتماعية المختلفة، وبالتالي فالعادات والتقاليد تشكل الجوانب التي تسمح للأفراد لتحقيق تكيف مع البيئة الخارجية حسب تعبير تالكوت بارسونز⁵. وفي هذا الصدد يرى الباحث الأنثروبولوجي إميل دوركايم "أن العادات والتقاليد الاجتماعية مفروضة ملزمة، وفرضها والتزام الأفراد بها يشعرهم بالراحة، ويفسر إلزامية الفرد بالقيام بها فالعادات الاجتماعية هي العقل الجمعي، والعقل الجمعي في نظر دوركايم هو مصدر كل الوقائع أو الظواهر الاجتماعية التي هي موضوع علم الاجتماع الأساسي"⁶.

فمع ثبوت هذه الأساليب "صار الصغار يتعلمونها من الكبار عن طريق التقليد أو العرف وبواسطة المحاكاة imitation وتحت تأثير الضبط والسلطة، وكانت الطرق الشعبية في زمن مضى توفر الحلول لكل مشكلات واحتياجات البشر وهي تتسم بالاتساق والتجانس والشمولية في الجماعات الواحدة ومع مرور الزمن تصبح هذه الطرق أكثر استبدادية وأمرية وإيجابية في نظر جماعتها، فعندما تسأل عن سبب القيام بالفعل ما في بعض المناسبات الدينية يكون الجواب إن الذي سبقونا فعلوا الشيء ذاته بالأسلوب ذاته ومن هنا تكتسب هذه الطرق الشعبية قيمتها الاجتماعية والثقافية"⁷.

ما يمكن إضافته، هو أن العادات والتقاليد تمثل حلقة وصل بين الأفراد وذاكرة حية يتم إحياؤها عبر نمطية الاحتفال والممارسة فنجد أن بعض مظهراتها تلتصق باليومي ولا تفارقه عبر صيغة مختلفة وتعكس صورة الماضي ورمزية الإرث الثقافي (المادي والمعنوي)، "فأهم ما تتسم به هذه الأساليب التقليدية هو طبيعتها اللاشعورية L'inconscient إذ أن الأفعال الأولى التي تنمو وتتطور منها

⁵ Steve Bruce and Steven Yearly. The Sage dictionary of sociology, Sage publications, London, 2006, p292.

⁶ هالة محمد عبد العال. المرأة والثقافة: بحث تحليلي في العوامل المؤثرة في تكوين شخصية المرأة العربية، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، 2018، ص21.

⁷ محمد بوراي، القيم الثقافية وإشكالية الهوية الوطنية في الجزائر بعد الاستقلال: دراسة أنثروبولوجية لبحث نمط الهوية في مخيال تراث الأدب الشعبي، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2003، ص106-107.

هذه الأساليب والتي يراد منها إشباع بعض الاحتياجات، يعتبر كل فعل منها قائما بذاته ومقيدا من حيث مدى الإشباع المباشر الذي يهدف إليه، ومن تكرار الحاجات تظهر عادات الأشخاص وتتكون الأعراف لدى الجماعات اعتمادا عليها، وهي قريبة في بعض ميكانيكياتها من الأفعال الغريزية إن صح التعبير رغم أنها تنتج من تجارب بشرية، وهي تصل أعلى أشكالها عندما تتكيف لتحقيق أعلى المنافع للبشر مما يثبتها في التقاليد الاجتماعية ويمنحها القوة على الانتقال من جيل إلى جيل⁸.

3-1- العادات والتقاليد بين الوظيفة وإشباع حاجات الأفراد:

إن ممارسة الأفراد لنوع من العادات والتقاليد يرتبط بإشباع حاجات معينة لديهم، حيث أن الحاجات الإنسانية تشكل جانبا مهما في تحقيق متطلبات العيش داخل الوسط الاجتماعي، وتتمثل هذه الحاجات في (الحاجات البيولوجية، الحاجات النفسية والاجتماعية)، فالثقافة بعناصرها تساهم في تلبية هذه الحاجات، حيث يرى في هذا الصدد الباحث الأنثروبولوجي مالنوفسكي أن الحاجات الأساسية للفرد وإشباعها ترتبط باشتقاق حاجات ثقافية جديدة، فممارسة العادات والتقاليد يكفل للأفراد تلبية حاجاتهم، مثلا كالحاجة لتحقيق الانتماء إلى جماعة ما، فنقول أن العادات والتقاليد تشبع حاجات الفرد التي تتمثل في (الحاجة للانتماء فممارسة نوع من الأنشطة يكفل للفرد الاستمرار في التفاعل مع بيئته وجماعته، وهنا يمكن إدراج مثال حول مسألة الاحتفالات التي تعيد إحياء ممارسة العادات والتقاليد، نجد الأفراد يمثلون لهذه الاحتفالات كسياق لتأكيد مفهوم الانتماء لديهم والذي يظهر عبر (التحضير والإعداد للمناسبة أو الاحتفالية، الحدث الاحتفالي مضافا إليه الطقوس)، وهذه العناصر تشبع لدى الأفراد المنتمين للوسط حاجة الانتماء والاعتراف إلى المحلي وكل ما له صلة بالثقافة المتداولة. ويتجلى ذلك عبر التمسك بها وممارستها ممارسة حقيقة حسب متطلبات الأحداث وإلى اللحظة التي تحقق بها وظيفة حيوية وإنسانية من وظائفها الكثيرة، إنها ليست حلقة من سقط المتاع، وليست عائق من عوائق التقدم⁹.

إن العادات والتقاليد كعناصر ثقافية تقوم في أساسها الأول على إبراز وتوضيح أن ممارستها تتصل بإشباع حاجات معينة ومتزامنة لدى الأفراد فتلبية الحاجات وإشباعها يتصل بطبيعة الوظيفة

⁸ محمد بوراكي، نفس المرجع، ص 107.

⁹ محمد سعيدي، "العائلة: عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر"، الظاهرة الاحتفالية بالأعياد نموذجا، دفاتر إنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية"، عدد 04، 2013، ص 150.

التي يقدمها الجزء للكل، فالعادات والتقاليد تؤدي وظائف مختلفة بالنسبة للأفراد تقوم في المقام الأول على تحقيق التكامل والاستقرار الاجتماعي داخل الوسط، والتغذية والتناسل أو الترفيه عن النفس والحركة.. الخ تستهدف إشباع حاجات أساسية للإنسان، فالجوع يدفع الإنسان أن يبحث عن الطعام ويتعاون مع الآخرين من أجل إنتاجه.¹⁰

✓ 1-4- العادات والتقاليد ونمطية الاتصال:

كما أسلفنا فإن الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة مختلف الجوانب التي تتعلق بحياة الإنسان والتي أسفرت عن ميلاد فروع تركز كل منها على العناصر التي تدخل ضمن إطار تخصصها وهي بدورها ساهمت في تعميق المنظور الأنثروبولوجي ليشمل تمفصلات دقيقة من الحياة الاجتماعية وحتى الثقافية مركزة في ذلك على تحقيق العناصر التالية (الوصف، التصنيف، التحديد والاستنتاج)، كأهداف بحثية ميزت الأنثروبولوجيا في صورتها العامة. وبذلك تتسع مجالات البحث الأنثروبولوجي لتشمل (دراسة الدين، الفن، اللغة، السياسة، الاقتصاد والاتصال). وضمن إطار الحياة الاجتماعية والثقافية تدرس الأنثروبولوجيا مختلف العناصر التي تنظم شؤون الأفراد داخل الأنساق التي ينتمون إليها، حيث تركز في بحثها على دراسة (القيم، المعايير، العادات والتقاليد)، كمصادر تكشف عبرها عن نمط العيش داخل المجتمع.¹¹

ويشير في هذا الصدد الباحث فرحاتي العربي "أن الدراسات الأنثروبولوجية كشفت أن الإنسان في تجربته الاتصالية والتواصلية سعى منذ القديم ويسعى دوما إلى تطوير فعل التواصل، وإنماء مهاراته وقدراته الاتصالية في جميع ميادين الحياة وفي كل الوضعيات حيث أن ما يمكن أن نسميه بالنظرية الحتمية الإعلامية التي تدرج فعل الاتصال الإنساني كمتغير مركزي في تطور المجتمعات تفسر تطور الاتصال كما لو كان ثورات".¹² وحسب الباحث جون ديوي "فإن الاتصال هو أساس كل علاقة إنسانية، إنه ينتج العلاقات الاجتماعية، يصل بين الأفراد فيما بينهم ويسمح بالحياة الاجتماعية، فالحياة الاجتماعية أو الجماعية لن تكون ممكنة إلا عن طريق قوى قاهرة للمعلومات المتوزعة والتي

¹⁰ محمد الخطيب. الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ط2، منشورات دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، 2008، ص52.

¹¹ مازن مرسول. "الأنثروبولوجيا نحو إناسة ممنهجة"، مجلة أنثروبولوجيا، عدد 01، 2015، ص110-111.

¹² العربي فرحاتي. أنماط التفاعل وعلاقات التواصل، الديوان الوطني للطباعة الجامعية، الجزائر، 2010، ص105.

تدور في نسق عضوي، بفضل المشاركة فإن الفرد تصبح له القدرة لكسب وممارسة الرقابة على الوسائل الحياتية.¹³

فمثلا العادات اليومية للفرد والجماعة تعبر عن طرق توظيف الأساليب الثقافية في الحياة اليومية مثل شرب القهوة، اللباس، الاستحمام، ممارسة الطقوس فهي تكشف عن الروتين اليومي الذي يميز وسط معين. وفي نفس الوقت تشكل حقلا تواصليا بين أفراد الجماعة الواحدة في كونها تكشف عن طرق التواصل عبر الحدث الكلامي Speech act والمحادثات التي تدور بين الأفراد إضافة إلى تموضعات الجسد في عملية الاتصال، وبذلك فالنشطات الروتينية تصف كيف يتواصل الأفراد مع بعضهم البعض ضمن سياق يمتزج فيه (كل ما هو لفظي وحركي غير شفوي بشكل عفوي مقصود وغير مقصود). أما عن العادات والتقاليد فباعتبارها تجسد نوع من الممارسات الاحتفالية التي يتم إحيائها في مناسبات معلومة (كأعراس، الأعياد والاحتفالات الأخرى)، فهي بدورها تكشف كيف يتواصل الأفراد عبر توظيف عناصر ثقافتهم (المادية والمعنوية)، فمثلا في الأعراس يتجسد فعل الاتصال عبر (تحضير المأكولات وطهي الطعام، الغناء، الرقص، نمط الملابس، عادات الزينة والتزين)، وغيرها من العناصر التي يمكن إدراجها كجوانب مشكلة لفعل الاتصال برمزياته ومعانيه المختلفة لدى كلا الجنسين (ذكر/أنثى)، فهذا المتغير له دور في عملية الاتصال دون تجاهل رمزية المكان الذي يحتضن هذه العادات والتقاليد وفي هذا الصدد يشير الباحث إرفنغ غوفمان E. Goffman "أن التفاعلات الاجتماعية تصنع نسج النظام الاجتماعي لأنها مؤسسة على معايير ومن بين كل هذه التفاعلات فضل غوفمان المقابلة اليومية الفردية التي يعتبرها بمثابة الخيط الناقل (أو السلك الناقل)، للتفاعلات الاجتماعية..."¹⁴

فأن تتصل هذا يعني أن تبادل شيئا ما مع الآخر فلا يوجد ببساطة حياة فردية ولا جماعية بدون اتصال وكل تجربة شخصية أو تجربة أي مجتمع تقتضي تحديدا لقواعد الاتصال، وبما أنه لا يوجد أناس دون مجتمعات، فمن الطبيعي أن لا يوجد أي مجتمع في غياب الاتصال. الاتصال هو تجربة أنثروبولوجية، حيث يؤكد علماء الأنثروبولوجيا والمؤرخون على أنه لم يسبق وأن كان هناك اتصال لذاته، فالاتصال كان دائما مرتبطا بنموذج ثقافي، بمعنى عبر تماثل الآخر.¹⁵ يمكن القول، أن

¹³ عبد العالي دبله، مدخل إلى التحليل السوسيولوجي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 230.

¹⁴ المرجع نفسه، ص 244.

¹⁵ رضوان بوجمعة، "أنثروبولوجيا الاتصال: دراسة في بعض الأبعاد النظرية"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية،

مجلد 01، عدد 01، 2013، ص 185.

الاتصال في سياقه الاجتماعي والثقافي ساهم في فعالية ممارسة العادات والتقاليد لدى الجماعات والأفراد، فاللقاء الوجيه والتواصل غير كلامي عبر حركات الجسد تم اعتبارها عناصر أساسية لدراسة السلوك اليومي الذي يكشف عن وتيرة التفاعلات المؤسسة للواقع الفعلي والمعاش، فالفرد في تفاعله ضمن نطاق الجماعة يسعى دوماً لنيل الاعتراف ولا يتحقق ذلك إلا من خلال تمثله لثقافتها وإحيائه لعاداتها وتقاليدها، هذه التمثلات هي الصيغ التي تبني فعل الاتصال بصوره وأساليبه المختلفة، ومنه فالثقافة هي الإطار المرجعي الذي تنتظم فيه سلوكات الأفراد وأفعالهم متخذة شكل تفاعلي تواصلية وتبادلي ضمن سياق مجتمعي معين.

2- تمظهرات العادات والتقاليد في الوسط الاجتماعي:

تشكل العادات نوع من الممارسات الاجتماعية والثقافية التي تتخذ الطابع اليومي لارتباطها بما يقوم به الفرد في حياته اليومية من أعمال ونشاطات نذكر على سبيل المثال (التدبير المنزلي لدى المرأة وكيف تساهم في تنظيم شؤون الفضاء الذي تنتهي إليه)، ومنه فالعادات هي جوانب من السلوك (الفرد والجماعي)، المكتسبة عبر التنشئة الاجتماعية التي توضح سبل قيام بنشاط معين لدى كلا الجنسين" فالعادة سلوك منظم، يتعلمه الفرد مع الآخرين، ويؤديه بصورة رتيبة وعلنية، وتمارس العادة استجابة لمواقف محددة، وكلما تكررت ممارستها ازدادت رسوخاً واستقراراً، وأصبحت ممارستها تلقائية ويسيرة، وتختلف العادة عن العرف Custom من حيث أن الأولى عمل فردي، في حين أن الثانية عمل جمعي، يمارسه أفراد المجتمع كافة¹⁶. تتخذ العادة في سياقها الاجتماعي داخل أي وسط صورتين أو نوعين هما (العادات الفردية والعادات الجماعية)، فالعادات الفردية تعبر عن كل السلوكات الرتيبة والعلنية التي يقوم بها الفرد لاشتمالها على الخصوصية وارتباطها بشخص الفرد القائم بها، بمعنى أن اليومي يشتمل على سلوكات تتصل بما هو شخصي نادراً ما يتشارك فيه، فهذه العادات بمثابة صورة الفرد التي يتعرف بها الآخر عليه وهي في نظر الفرد وسيلة للتماثل مع الآخر" فالفرد في تفاعله مع الآخرين يكون صورة ذهنية أو رمز عن كل فرد تفاعلهم معه، وهذا الرمز قد يكون محبباً أو غير محبب، وطبيعة الرمز الذي أعطاه الفرد للآخرين هو الذي يحدد علاقته معهم¹⁷. ومنه فالعادة الفردية هي أسلوب فردي وظاهرة فردية شخصية، والدليل على ذلك أن يمكن أن تتكون العادة الفردية وتمارس في حالات العزلة عن المجتمع، يقول إدوار سايبير فمن المنظور البيولوجي كل العادات هي في الأصل

¹⁶ شاكر مصطفى سليم. قاموس الأنثروبولوجيا، الكويت، 1981، ص 427.

¹⁷ خالد حامد. مدخل إلى علم الاجتماع، ط2، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 122.

عادات فردية، ومن خلال العلاقة الطبيعية المستمرة للأفراد تنتشر هذه العادات الفردية في المجتمع، كعادات المشي والأكل، والعادات الفردية المهنية كالمهارات التكنولوجية التي تكتسب في أثناء مزاولة العمل في المصانع والمعامل والمزارع.¹⁸ أما العادات الجماعية فهي "ظاهرة اجتماعية تمثل أسلوبا اجتماعيا، بمعنى أنها لا يمكن أن تتكون وتمارس إلا بالحياة في المجتمع والتفاعل مع أفرادها وجماعاته، ومن أمثلة العادات الاجتماعية التي توضح الأسلوب الاجتماعي في التصرف، عادات التحية، وطرق إجراء المحادثة وأداب المائدة، وآداب المجاملة المختلفة، كتقديم الهدايا وإرسال بريقيات تهنئة في المناسبات السارة وطرق تناول الطعام وطرق الخطبة والزواج وتربية الصغار...الخ، فكل هذه الأمثلة تعبر عن أساليب سلوك الجماعة نفسها من حيث كونها جماعة".¹⁹

يمكن الاختلاف بين العادات الفردية والعادات الجماعية في كون أولى يمارسها الفرد بنفسه، أما الثانية فتمارس على مستوى الجماعة أين يكون الاتفاق الجمعي على شروطها وعناصرها وكيفية ممارستها عبر الحدث الاجتماعي أو الديني فالغاية من ممارسة هذه العادات بصورها المختلفة حسب رواد علم الاجتماع والأنثروبولوجيا تكمن في أنها تكشف عن الأساليب المتبعة من طرف الأفراد والجماعات في تشكيل واقعهم الاجتماعي وتبيان أشكال التفاعل الاجتماعي بينهم" فالناس من خلال التفاعل يتعلموا أن يتصرفوا بالطريقة التي يتوقعها الآخرون منهم، ومن ثمة فهم يراعوا أن يكون سلوكهم مطابقا للأنماط السلوكية التي تحدث في المؤسسات والنظم الاجتماعية التي خلقوها وهم يعلمون أيضا أن الآخرين لديهم نفس التوقعات.²⁰ كما أن العادات الشعبية تعتبر مصدر ضبط وتنظيم للسلوكات الاجتماعية وإخضاعها لما هو متداول وهنا نشير إلى أن دور الأجداد "يعتبر من الأدوار المؤثرة التي يقوم بها كبار السن في العائلة، حيث تتكامل مع أدوار الآباء في علاقاتهم بأبنائهم، وخاصة في مراحل حياتهم المبكرة ولاشك أن الدور الذي يقوم به الجد في نسق الأسرة يتوقف على قدرته، وهو دور يكمل دور الوالدين، ولكننا نجد في المجتمعات التقليدية التي يسودها نظام العائلة الممتدة في منطقة الريف القبائلي حكم الأجداد في نسق العائلات، حيث يحجم الأجداد دور الآباء في علاقاتهم وممارسة السلطة عليهم نتيجة قدرة الأبناء على كسب تعاطف الأجداد وحصولهم على مساعدات مادية".²¹

¹⁸ محمد بوراكي. مرجع سابق، ص 108.

¹⁹ فوزية دياب. القيم والعادات الاجتماعية، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1980 ص 105-106.

²⁰ خالد حامد، مرجع سابق، ص 126.

²¹ بداك شعبة. العلاج التقليدي في منطقة القبائل- في سوسيولوجيا الصحة في المجتمع الجزائري، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص 50.

ومن ناحية ثانية العادات العصرية أو الحديثة، التي أصبحت اليوم منتشرة في كل الأوساط خصوصاً الحضرية مع نوع من المحافظة والتمسك بالتراث لدى أهل الريف، إن للتغيرات الحاصلة إسهام مباشر في بروز عادات جديدة لم يعرفها المجتمع الجزائري من قبل، هذه العادات انتشرت بفعل تكنولوجيا الإعلام والاتصال عبر تطبيقاتها المعاصرة والمؤدجة التي ترمي إلى إحلال النموذج الثقافي الغربي وتعبير عن اللباس والهيئة وتمس أفكار الناس ومعتقداتهم، مثل استعمال قاعات الأفراح في الأعراس تعتبر عادة جديدة، حيث اعتبرت هذه الممارسة موضة جديدة كانت تقتصر على أصحاب المال، ولكن الآن انتشرت وأصبح يقوم بها كل العائلات، إلا أن هذه العادات الجديدة ليست ثابتة بل تزول مع زوال درجة تأثيرها وتأثر الأشخاص بها، إذ قد تتأثر بها الجماعة لوقت معين ثم تتركها، لذلك يمكن القول أنها عادات أنية مرتبطة بالفترة التي وجدت فيها، وبالحاجة التي وجدت لأجلها.²² ومنه فالعادات تعبر عن مظاهر السلوك الفردي والجماعي في سياق معين تحمل في طياتها مضامين رمزية تكفل للفرد والجماعة سبل التكيف مع الأوضاع والظروف، سهولة التفاعل والاتصال، التعبير عن الخصوصية المحلية عن طريق تمثيل الأفراد لها، سنحاول في هذا العنصر تطرق لبعض العادات اليومية التي تميز الوسط الاجتماعي في المجتمع الجزائري، فلا يمكن عرض كل العادات كون أن مجال هذا العمل لا يتسع لذلك. وسنركز على (إلقاء التحية أو السلام، آداب المائدة، شرب القهوة وعادات الزينة والتزين).

2-1- إلقاء التحية أو السلام:

من ضمن العادات اليومية الأكثر تكراراً في الأماكن والفضاءات العامة والخاصة إلقاء التحية أو السلام كصيغة كلامية يتبادلها الأفراد في المجتمع الجزائري في (الصباح والمساء)، فالتحية سلوك يومي وتشريع اجتماعي أقره الدين الإسلامي كون أن السلام خصوصية أو سمة تعبر عن أخلاق المسلمين " فلفظ السلام مستوحاة من أقوال وأفعال الرسول الأعظم لقول المسلمين (السلام عليكم)، (وعليكم السلام)، وأمر المسلمين بإفشاء السلام وهو تعبير مؤثر لا يمكن لغير العربي إبلاغه أو تبليغه، وهناك عدة طرق لإلقاء السلام أورد السلام، فالجالس لا يسلم على المار والآتي غير الذهاب والصغير يصافح الكبير أو الطاعن في السن، ولا يجوز لمحترم أي مكان أين ينظر إلى مستول بطريقة مباشرة،

²² أسعد فايزة. العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليدي والحداثة، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2012، ص 106.

كما أن هناك طرق خاصة للسلام على المرأة: ²³ إلقاء التحية أو السلام تعبر عن حيثيات تواصل الأفراد مع بعضهم البعض، ولا تقتصر على أشخاص نعرفهم، فالانجذاب أو النفور منبعا من أسلوب التخاطب لكن البعد الأهم في أشكال الكلام هو الرموز الدال عليه باعتباره لغة واللغة بدورها كرموز دالة تتضمن معان، والمعاني بدورها ما تشكل عالمنا الاجتماعي، كل ما يدور في العالم الاجتماعي رموز دالة ومعان، وهذا السياق يمكن فهم أشكال الكلام ليس من حيث صورته كحروف وإنما من حيث طريقة لفظه/مناسبات قوله/ أوقات استخدامه وأوجه الاحتمال التي يقصد منه، لهذا يقال: ما بين السطور، ما وراء الكلام حيث المخبأ هو أكثر من مجرد كلمات بل مغاز ومعان". ²⁴

2-2- آداب المائدة والأكل:

آداب الأكل والشرب تعبر هي الأخرى عن نمط من العادات اليومية المتداولة يوميا فهي تعبر عن سياق اجتماعي معين يتمحور حول تأسيس الأفراد لهذا الحدث عبر الاجتماع حول المائدة، "حين يجلس المرء إلى الغذاء يقوم بغسل اليدين قبل وبعد الأكل، ويقوم بشرب الماء بعد الأكل وليس قبله أو أثناءه وذلك تبعا للتقاليد المعمول بها، ثم إذ فرغ من الأكل يعضض فمه ويجعل أصابعه في فمه ليمسح أسنانه، وهناك بعض المسلمين الذي يتناولون الخمر خفية، كما لا يتناول المسلم لحم الخنزير لأنه محرم وهذه عادات يقوم بها كل المسلمين وليست طبائع بعض الأشخاص فقط". ²⁵ نحن نتناول الطعام مرارا وتكرارا عبر الأيام، وفصول السنة، والسنوات، لنملا بطوننا ونشبع جوعنا العاطفي والجسدي. وتقع المشاركة في الأكل معا موقع القلب من العلاقات الاجتماعية فنحن ننشئ العلاقات العائلية والصدقات باقتسام ألوان الطعام، وطعمها والقيم وأنفسنا. والولائم تحتفي بالمناسبات الهامة وتوسع الجماعة الاجتماعية في الولائم التي تقام في الهواء الطلق مع زملاء العمل، وولائم عشاء الكنيسة، وحفلات الشواء في الأماكن الخلوية، وولائم الغذاء التي يقدم فيها ما تيسر من الطعام، والولائم والعزائم طريقة رائعة لخلق علاقات اجتماعية إيجابية لأن تناول الطعام الطيب في حالة الجوع يسبب شعورا بالابتهاج، وبالمثل، حين تكون العلاقات الاجتماعية سيئة، يمكن أن يكون تناول

²³ بن الشيخ حكيم. مدينة الجزائر: الأوضاع الاجتماعية والأنثروبولوجية 1945-1954، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 169.

²⁴ مأمون طريه، علم الاجتماع في الحياة اليومية- قراءة سوسيولوجية معاصرة لوقائع معاشة، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2011، ص 26.

²⁵ بن الشيخ حكيم، مرجع سابق، ص 169-170.

الطعام مؤلماً وباعثاً على الضيق.²⁶ تشكل المائدة وسيط اجتماعي آخر له دور في ربط الأفراد عبر نموذج علائقي فريد من نوعه فهي (أي المائدة)، مجال لتبادل الأحاديث حول قضايا عائلية واجتماعية، كما أنها مجال يكشف عن نمطية الاتصال بين أعضاء الأسرة، دون إغفال الجانب الديني الذي يشكل محور أساسي الذي يحدد أساسيات (الأكل وكيفية الجلوس بالنسبة للجنسين، حيث" تؤثر طرق التعامل مع الطعام على تشكيل المجتمع المحلي والشخصية والعائلة، وتسهم دراسة طرق التعامل مع الطعام في فهم الأشخاص لأنفسهم عبر الثقافات والحقب التاريخية، كما أن طرق التعامل مع الطعام يجمع بينها هيكل وتنظيم فضفاضين عبر القطاعات السكانية، وعلى الرغم من ثبات التنوعات على الأفكار الأساسية، وبذلك فالناس يعبرون عن تميزهم وتفردهم ويدركونه من خلال وسيط الطعام".²⁷

2-3- شرب القهوة:

تتعدد العادات اليومية لتشمل كل الجوانب (الاجتماعية، النفسية والثقافية)، فالفرد يمارس هذه العادات لتأطير حياته، فهذه العادات تجمع بين (ما هو ترفيهي واعتيادي وبين ما هو واجب القيام به والحرص على ممارسته حتى ينتظم الروتين اليومي)، يعد شرب القهوة أساسي بالنسبة للفرد كون أن هذه العادة تعبر عن نوع من السلوكيات تجاه هذا المنتج." فالقهوة ليست مجرد شراب منعش أو منبه، بل إن لها قيمة رمزية باعتبارها جزءاً من أنشطتنا الاجتماعية اليومية والطقوس التي تصاحب احتساء القهوة أهم من استهلاكها. إن فنجان القهوة أو الشاي لكثير من الناس في الشرق أو الغرب هو علامة فارقة في روتين السلوك الشخصي، إنه خطوة رئيسية أولى لبدء نشاط ذلك اليوم، وقد يتلوّه تناول ذلك الشراب في وقت لاحق في ذلك اليوم مع آخرين، مما يحوله إلى واحد من الطقوس الاجتماعية. وعندما يلتقي اثنان لتناول القهوة سوياً، فإنهما ربما يكونان مهتمين باللقاء والحديث أكثر من اهتمامهما بشرب القهوة- وتناول الشراب والطعام يمثل في جميع المناسبات فرصة للتفاعل الاجتماعي وممارسة الطقوس، وتمثل هذه اللقاءات مجالاً خصباً للدراسة الاجتماعية²⁸. " شرب القهوة يعبر عن نوع من الممارسات الطقوسية اليومية التي يقوم بها الأفراد فهي تشكل حقلاً خصباً للعلاقات الاجتماعية داخل الفضاءات العامة والخاصة وأحد مقومات التفاعل الاجتماعي بين الأطراف المشاركة، فلها من الرمزية ما يفوق شرب منتج معين (أي القهوة)، كما أن هذا الحدث اليومي يشكل محور

²⁶ كارول م كونيهان، أنثروبولوجيا الطعام والجسد: النوع، المعنى والقوة، ترجمة سهام عبد السلام، مركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص 19.

²⁷ كارول م كونيهان، نفس المرجع، ص 20.

²⁸ أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، ط 4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص 48.

أساسيا لتصفح الحياة الاجتماعية وتشخيص الاختلافات الجوهرية حول شرب القهوة، إضافة إلى ذلك فشراب القهوة يعتبر أساسيا لبداية اليوم بالنسبة للأفراد، حيث أن الشروع في العمل يرتبط بالقهوة كمنشط حيوي وكوسيط اجتماعي لبداية اليوم بصورة إيجابية" فالشخص الذي يتعاطى القهوة يدخل في مجموعة معقدة من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية التي تمتد إلى أنحاء أخرى من العالم. فالقهوة هي أحد المنتجات التي تربط الناس في أغنى الدول وأفقرها في مختلف أرجاء المعمورة: فهي تستهلك بكميات هائلة في الأقطار الغنية ولكنها تزرع وتنتج أساسا في البلدان الفقيرة²⁹.

4-2- عادات الزينة والتزين:

يشكل هذا النوع من العادات إسهام الفرد في العناية الصحية والجمالية بالجسد وصحته النفسية والاجتماعية، فهذه العادات توضح كيف يشرع الأفراد في تحقيق اهتمام بمظهرهم عن طريق أساليب ووسائل لها أثر إيجابي عليهم، حيث تتمثل هذه الأساليب في (النظافة عن طريق الاغتسال والاستحمام، نمط اللباس، المواد التجميلية من أعشاب ومنتجات)، حيث تتصل هذه الأساليب باليومي والأسبوعي، فعن طريقها يعبر الأفراد عن خصوصياتهم الثقافية. وبذلك، فالعادات الزينة والتزين هي أحد الأساليب والممارسات ذات الطابع النفسي والاجتماعي والثقافي حيث تؤكد في هذا الصدد الباحثة Christine Derterez: "أن العناية بالجسد في مفهومها العام، تجمع بين الممارسات اليومية، من غذاء ورياضة، وممارسات جنسية وأخرى جمالية... وكل ما يتعلق بالمرافق والسلوكيات المتعلقة بالحياة الصحية والجمالية L'hygiene de vie التي تعد نمط حياة³⁰". وفي هذا الصدد تقول الباحثة فاطمة المرينسي: "أن قدرا من المعارف التي يمررها المجتمع إلى الفتاة تتعلق بتقنيات متعددة وتركيبات تشمل استعمال الأعشاب والأزهار والبذور والأحجار المعدنية لصنع قناع يحفظ الوجه أو مادة لغسل الشعر... وأغلب (النساء الشابات)، لازالت تستعمل هذه التقنيات التقليدية رغم أهمية منتجات الزينة المستوردة من الخارج... ويكتسي دور الحماة في تلقين هذه الطرق لكنها دورا مهما لا يقل أهمية عن دورها في تلقيها معلومات عن كل ما يتعلق بالولادة والمرض والموت.³¹ إن هذه الممارسات التي تميز كلا الجنسين (ذكر/أنثى)، إنما تعبر عن عادات يومية متبعة من طرفها لغايات وأهداف مختلفة، تتجلى عبر رمزياتها ومدلولاتها النفسية والاجتماعية والثقافية، كما أنها تشرح كيف

²⁹ أنتوني غيدنز، نفس المرجع، ص49.

³⁰ Christine Derterez, la construction sociale du corps, ed. du seuil, paris, 2002, p131.

³¹ فاطمة المرينسي، ما وراء الحجاب- الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، ط4، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005 ص08.

يزاولها الأفراد، فإن كنا نتحدث عن مدلولاتها في الجانب النفسي فهي تحقق إشباع حاجات ذاتية لدى الفرد كحب الظهور في أجمل هيئة، أما الجانب الاجتماعي فهي تساهم في تعبير عن المكانة والهيبة الاجتماعيتين، أما الجانب الثقافي فهي تعبر عن الخصوصية الثقافية، وبذلك فعادة الزينة والتزين تشكل حقلا خصبا تنوزع فيه (الأساليب والممارسات)، لتعبر عن أهمية هذه العادات الروتينية في التأسيس لمفهوم العناية الصحية والجمالية بالجسد في الإطار اليومي.

تشكل التقاليد إلى جانب العادات عنصرا أساسيا وأحد مركبات الثقافة لدى مجتمع من المجتمعات، فالتقاليد هي الأخرى تعبر عن نوع من الأساليب والطرق تتضمن ممارسات ونشاطات اجتماعية التي يتم تداولها وإحيائها "فالتقاليد في المفهوم الديني والاجتماعي تؤكد فكرة الوديعة أو بالأحرى، ما يسلمه الجيل القديم إلى الجيل الجديد للحفاظ عليه من عادات وغيرها، أو ما يودع عند جيل للمحافظة عليه وحمايته وهذا ما يفسر كون الأبناء يقومون بتقاليد أجدادهم، ليس خوفا منهم بل بدافع المحافظة على تلك الوديعة والامتنال لما تركه أجدادهم وبالتالي ما يجسد الامتنال للعلاقات والتفاعلات الاجتماعية Rapports sociaux وهذا ما يعطيها صفة القداسة. العلاقة بالأجداد تعني رمزيا الامتنال للعلاقات والتفاعلات الاجتماعية الموجودة ويفسر في لغة المقدس.³² فالتقاليد هي الصورة التي يحتفى بها ويتم المحافظة عليها عبر استحضار رمزياتها ومدلولاتها في المناسبات المختلفة، كما أنها تعتبر وسيلة لضبط الأفراد وعاملا مهما في بناء شخصياتهم، كما أن التقاليد في مفهومها العام هي مجموعة العادات الاجتماعية التي اكتسبت صفة التقليد نتيجة لتكرار ممارستها، إضافة إلى ذلك فالتقاليد وسيلة اتصالية ووسيط يدخل في أنواع النشاط المتبادل بين الأفراد والجماعات.

أما عن تمظهراتها في الوسط الاجتماعي، فالتقاليد الأكثر تداولاً في المجتمع الجزائري (الاحتفالات الاجتماعية كزواج، الختان، الدينية كالاحتفال بالأعياد الدينية، عيد الفطر وعيد الأضحى)، ومنه فهذه الاحتفالات هي أحد مركبات الهوية المحلية لدى شعب من الشعوب. يحتفل المجتمع الجزائري بمجموعة من الاحتفالات التي تعكس صورة التقاليد المتوارثة والتي يتم من خلالها إحياء الممارسات التي كان الأجداد والآباء يمارسونها، فاحتفال بالأعراس خير مثال على التقاليد الاجتماعية لكونه يخضع لمراحل تنقيد بها الأسر الجزائرية، فنجد أن لكل منطقة عاداتها وتقاليدها فيما يتعلق بالزواج، فهي تكرر عبره أساليب اجتماعية متعارف ومتفق عليها، ويختلف الاحتفال الطبقات الاجتماعية، ويخضع للعادات والأعراف السائدة في كل زمن طبقا لعقيدة المجتمع وسلوكاته

32 Georges Balandier. Anthro-po-logiques, Livre de Poche, Paris, 1985, p 227.

الاجتماعية والأخلاقية.³³ يعتبر الزواج جانبا مهما في إشباع حاجة الأفراد المختلفة بدء من (الحاجة البيولوجية إلى الحاجة الاجتماعية- تأسيس وحدة اجتماعية أو ما يعرف بالأسرة)، والزواج كمناسبة اجتماعية فهو يعبر عن الاختلاف في الممارسات المتداولة من مجتمع لآخر، حيث أنه في المجتمع الجزائري يخضع للاعتبارات مختلفة تتأرجح بين الأعراف والمرجعية الدينية كوسيط في تنظيم وتأطير الممارسات الخاصة به

يحتضن المجتمع الجزائري إلى جانب هذه الاحتفالات، احتفالات أخرى ذات طابع ديني تجسد هي الأخرى كيف يتم الاتفاق على إحيائها انطلاقا من التعاليم الدينية والأعراف الاجتماعية، ونذكر في هذا الصدد الاحتفال بالأعياد الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى، فهذان الحدثان يتم احتفال بهما بعد أداء الفريضة الدينية (صيام رمضان وأداء مناسك الحج)، فعيد الفطر أو كما يسمى في المجتمع الجزائري بالعيد الصغير يحتفل به بعد إتمام صيام شهر رمضان وهي مناسبة لإصلاح ذات البين ووصل صلة الرحم، وغيرها من الطقوس والممارسات التي تعرف حضور في هذا الحدث الديني. أما عيد الأضحى فهو مناسبة يحتفل بها في العاشر من ذي الحجة، حيث ترتبط هذه المناسبة بأداء فريضة الحج، وفي هذا اليوم يتقرب المسلم من الله عز وجل بتقديم القرابين المتمثلة في (الأضحية)، والدعاء بالمغفرة والثواب، ولذا يحرص معظم الآباء وأرباب أسر المسلمين على القيام بهذه الشعيرة الدينية التي تجسد واقعا حسب الباحث كامب شلينغ CH.Kamb "أسطورة التضحية الكبرى في الإسلام وترمز إلى ذلك الإنجاز الذكوري في تحقيق الأمل في جعل الحياة الأبدية ممكنة. وقد قدم الباحث عبد الله الحمودي في دراسته الوصفية لمجمل صيرورة التضحية Le Processus sacrificiel التي يعرفها هذا العيد بإحدى القرى الأطلس الكبير، إذ اعتبرت هذه الدراسة طقس التضحية وكل الممارسات التي تسبقه وتتلوه بمثابة مكونات لكل واحد لا يمتنع. وتتكون هذه الصيرورة من المراحل الثلاثة الآتية: صلاة العيد، تهيئ الأضحية، نحر الأضحية، ثم إعداد الوجبات الفاخرة والقيام بالألعاب الساخرة³⁴. يمكن القول أن هذه الاحتفالات والمناسبات ذات الطابع الديني يعتبرها الأفراد في المجتمع الجزائري مرآة تعكس هويتهم من خلال طبيعة العادات والتقاليد التي تصاحب هذه الاحتفالات، كونها تعكس جملة من العناصر المتمثلة في (الطقوس والشعائر الممارسة، طرق الاحتفال، طرق تفسير مضامينه). كذلك من ضمن التقاليد التي عرفت حضورا كبيرا في المجتمع الجزائري خصوصا في المجتمع النسوي (لعبة

³³ بن الشيخ حكيم، مرجع سابق، ص191.

³⁴ عبد الغني منديب، الدين والمجتمع- دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، أفريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص143-

البوقالة)، كجزء من الميراث الشعبي الذي مارسه النساء، فرغم اختفاء هذه الممارسات إلا أنها شكلت سمة ميزت الفضاء النسوي الجزائري" فالبوقالة ممارسة نسوية لا دخل للرجل- كمشارك- فيها لذلك تتم ممارستها في الفضاءات النسوية التي تتحكم فيها المرأة وهي غرف البيت بشكل خاص لكن في حالة غياب الرجل تتحول سطوح البيوت وأفنيئها إلى فضاءات نسوية وتحكم المرأة في هذه الفضاءات يظهر من خلال إقصائها لكل من لا علاقة له باللعبة كالشباب الفضولي والأطفال وحتى النساء غير المشاركات كالخدمات مثلا، إذ لا يسمح بالحضور إلا للمشاركات³⁵. " لعبة البوقالة هي تجسد للتقاليد الاجتماعية وتعبير عن إسهامات الإنسان في تطوير أساليب تساعد في تكيف مع الظروف والمستجدات فالبوقالة تعبر عن الممارسات الطقوسية التي تميل إلى تحقيق الترفيه وامتصاص الضغوط النفسية التي واجهت الإنسان داخل بيئته، ويرجع البعض أصل هذه اللعبة للأتراك ثم تناقلها من طرف النساء في المجتمع الجزائري" فمن أبرز الدراسات التي أنجزت حول التفاعلات الثقافية دراسة الباحث في التاريخ القديم إيفون ثيرت الذي أكد أن منطقة شمال إفريقيا مرصد هام لمن يريد دراسة ظواهر الميثاقفة والهجرة الثقافية، فقد شهدت هذه المنطقة منذ القرن الثالث قبل الميلاد انتشار الثقافة الإغريقية ثم الثقافة الرومانية، وهذه الهجرات أثمرت حضارة متوسطة موحدة امتصتها ثقافات شعوب المنطقة استجابة لحاجياتها في كل مرحلة، لذلك هو يرفض اعتبار الإغريق والرومان خاصة استعمارا كالأستعمار الإمبريالي الحديث فالميثاقفة لم تكن آنذاك تدجينا واستلابا، لأن وجود ثقافة مهيمنة لم يلغي الثقافات الأخرى فالشعوب بالنسبة إليه. أخذت عن بعضها البعض إراديا وطوعيا وبشكل سلمي³⁶. " إن هذه الممارسة الطقوسية لها قواعدها ومبادئها وعناصرها التي تقوم عليها، حيث تمر هذه اللعبة بخطوات تتمثل في (التحضير عن طريق جمع العناصر المادية التي لها فعالية في هذه الطقوس حيث تنقسم هذه العناصر إلى العناصر التطهيرية وتشمل نافخ أو كانون، البخور، قطع خشبية، سبع خيوط مأخوذة من ملابس أرملة، الحنة، أما العناصر التنبؤية فتشمل قلة أو البوقالة، الماء، الزيت، قطع الحلي، ثم تأتي مرحلة الإنجاز أين تجلس قائدة اللعبة متوسطة حلقة النساء، أمام طاولة منخفضة موضوع فوقها القلة. تبدأ لعبة البوقالة بالتعويدة والصلاة على الرسول في شكل الآتي:

بسم الله بديت وعلى النبي صليت

³⁵ فاطمة ديلي، مرجع سابق، ص 18.

³⁶ فاطمة ديلي، "أصل لعبة البوقالة"، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، المركز الديمقراطي العربي- ألمانيا،

عدد 07، 2019، ص 113.

وعلى الصحابة رضيت يا ساكنين البيت

بسم الله بديت وعلى النبي صليت

وعلى الصحابة رضيت وعيطت يا خالقي

يا مغيث كل مستغيث يا رب السماء العالي

خاتمة:

من خلال ما تم عرضه يمكن القول، أن الثقافة تعتبر ترجمانا حيا لمختلف الأساليب والوسائل التي سعى من خلالها الإنسان للتكيف مع ظروف البيئة وإيجاد تفسير لبعض الأمور الغامضة والمجهولة التي شكلت في بدايتها الأولى مصدر خوف وقلق لديه، فالإنسان عبر العناصر الثقافية ساهم في تشيد واقعه المعاش، فهذه العناصر كانت حلقة وصل وركيزة أساسية لتأطير وتنظيم شؤونه داخل الأماكن والفضاءات العامة والخاصة التي يشغلها، وبذلك شكلت العناصر الثقافية بصورها وأشكالها وسيطا لإعادة بعث النظام الاجتماعي ضمن سياق مجتمعي معين. حيث شكلت العادات والتقاليد أبرز مصادر الثقافة في صيغها (المادية والمعنوية)، فهذه المصادر ساهمت بشكل مباشر في التعبير عن نمطية الممارسات والنشاطات التي زوالها الأفراد (في الماضي والحاضر)، محاولة منهم في تحقيق تكيف واندماج اجتماعيين يكفلان لهم إشباع حاجاتهم المختلفة ضمن نمط ثقافي معين، كما شكلت العادات والتقاليد نموذج توصيفي تتأسس عليه مفاهيم (الهوية، الانتماء والخصوصية الثقافية)، عبر مستوياتها المختلفة (الذاتية، الاجتماعية والحضارية)، فالعادات والتقاليد هي الأساليب والطرق الفردية والجماعية التي تم الاعتراف بها والإقرار بوجودها عبر عملية التلقين والتنشئة الاجتماعية التي ساهمت في رسوخها في وعي الأفراد.

بمعنى أن العادات والتقاليد يتم اكتسابها اجتماعيا وتعلمها من المجتمع عبر الأجهزة والأنساق الاجتماعية المختلفة. لقد ساهمت الأنثروبولوجيا عبر جهود روادها وباحثيها في دراسة مصادر الثقافة لدى مجتمع من المجتمعات محاولين تشخيص الواقع الاجتماعي والثقافي للأفراد والجماعات وكيفية توظيفهم لعناصر ثقافتهم في عملية التكيف مع البيئة الجغرافية والاجتماعية، وكيف تؤثر الثقافة على شخصياتهم وقد حظيت العادات والتقاليد باهتمام كبير باعتبارها سياق مباشر لفهم الفعل الاجتماعي وأنماطه الأكثر ظهورا في المجتمع، وقد حققت الدراسات العقلية ثمار تلك الجهود

وأفرزت نتائج لها من الأهمية ما يؤسس لنموذج توصيفي يترجم مساهمة العادات والتقاليد في تبيان أشكال السلوك اليومي والروتيني لدى أفراد المجتمعات المختلفة.

قائمة المراجع

1. أسعد، فايزة. العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليدي والحداثة، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2012.
2. بداك، شبيحة. العلاج التقليدي في منطقة القبائل: في سوسيولوجيا الصحة في المجتمع الجزائري، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.
3. بن الشيخ، حكيم. مدينة الجزائر: الأوضاع الاجتماعية والأنثروبولوجية 1945-1954، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
4. بوجمعة، رضوان. "أنثروبولوجيا الاتصال: دراسة في بعض الأبعاد النظرية"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلد 01، عدد 01، 2013.
5. بوراكي، محمد. القيم الثقافية وإشكالية الهوية الوطنية في الجزائر بعد الاستقلال: دراسة أنثروبولوجية لبحث نمط الهوية في مخيال تراث الأدب الشعبي، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2003.
6. حامد، خالد. مدخل إلى علم الاجتماع، ط2، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
7. الخطيب، محمد. الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ط2، منشورات دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، 2008.
8. خواني، خالد. "وسائل الاتصال والتعبير عند الشعوب البدائية: دراسة أنثروبولوجية"، ضمن كتاب: في أنثروبولوجيا الاتصال، السياقات والمفاهيم، إشراف: العربي بوعمامة، منشورات ألفا، الجزائر، 2020.
9. دبله، عبد العالي. مدخل إلى التحليل السوسيولوجي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
10. دياب، فوزية. القيم والعادات الاجتماعية، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.
11. ديلي، فاطمة. "أصل لعبة البوقالة"، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، المركز الديمقراطي العربي - ألمانيا، عدد (07)، 2019.
12. ديلي، فاطمة. "البوقالة: الطقس والشعر والمرأة"، منشورات CNRPAH، 2009، عدد 07.

13. سعدي، محمد. الأنثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق: دراسة في مظاهر الثقافة الشعبية في الجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2007.
14. سعدي، محمد. "العائلة: عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر، الظاهرة الاحتفالية بالأعياد نموذجاً، دفاتر إنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية"، عدد 04، 2013.
15. طريه، مأمون. علم الاجتماع في الحياة اليومية: قراءة سوسيولوجية معاصرة لوقائع معاشة، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2011.
16. عبد العال، هالة محمد. المرأة والثقافة: بحث تحليلي في العوامل المؤثرة في تكوين شخصية المرأة العربية، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، 2018.
17. غيدنز، أنتوني. علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005.
18. فرحاتي، العربي. أنماط التفاعل وعلاقات التواصل، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
19. كونيان، كارول م. أنثروبولوجيا الطعام والجسد-النوع، المعنى والقوة، ترجمة سهام عبد السلام، مركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013.
20. مرسول، مازن. "الأنثروبولوجيا: نحو إناسة ممنهجة"، مجلة أنثروبولوجيا، عدد 01، 2015.
21. المنيسي، فاطمة. ترجمة: فاطمة الزهراء أزرويل، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، ط4، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005.
22. مصطفى سليم، شاكر. قاموس الأنثروبولوجيا، الكويت، 1981.
23. معتوق، جمال. الأنثروبولوجيا: الفروع والمداخل النظرية، داركتاب الحديث، الجزائر، 2016.
24. منديب، عبد الغني. الدين والمجتمع: دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، أفريقيا الشرق، المغرب، 2006.

المراجع الأجنبية:

1. Détrez, Christine. La construction sociale du corps, Ed. Seuil, Paris, 2002.
2. Balandier, Georges. Anthro-po-logiques, Livre de Poche, Paris, 1985 .
3. Bruce, Steve and yearly, Steven. The Sage dictionary of sociology, Sage publications, London, 2006 .